

تجليات التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ"سعيد خطيبي"

The strategy of experimentation in the contemporary Algerian novel, a reading in the novel "Forty years waiting for Isabel" by "Saeed Khatibi"

أحلام الواج¹

1-جامعة يحيى فارس بالمدينة (الجزائر) /ahlemlouadj1993@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/04 تاريخ القبول: 2020/10/20 تاريخ النشر: 2021/12/26

<p>Abstract: This study aims to reveal the most important mechanisms of experimentation that "Saeed Khatibi" employed in his novel "Forty Years Waiting for Isabel", where the contemporary novelist seeks to invent new technologies and mechanisms that give his creative work a new spirit that expresses the conditions of society and delves into its depths, narrative techniques Traditionalism was no longer able to keep pace with the transformations that occurred in society, so the novelist had to go through the modernist experience in fiction writing. "Saeed Khatibi" employed many experimental techniques that enabled him to break the limitations of the traditional narrative structure.</p> <p>Keywords :Experimentation; linguistic diversity; sexual taboo; sexual intercourse.</p>	<p>ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أهم آليات التجريب التي وظفها "سعيد خطيبي" في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، حيث أصبح الروائي المعاصر يسعى إلى ابتكار تقنيات وآليات جديدة تمنح عمله الإبداعي روحا جديدة تُعبّر عن أحوال المجتمع وتغوص في أعماقه، وقضاياها، فالتقنيات السردية التقليدية لم تعد قادرة على مواكبة التحولات التي تطرأ على المجتمع، لذلك كان لزاما على الروائي أن يخوض غمار التجربة الحداثيّة في الكتابة الروائية. وظّف "سعيد خطيبي" العديد من التقنيات التجريبية التي مكنته من كسر قيود البنية السردية التقليدية في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، من هذه التقنيات نجد التناص بمختلف أنواعه، كما قد تضمّن هذا النصّ الروائي العديد من الأجناس الأدبية التراثية، إضافة إلى خرق المحرم الجنسي.</p> <p>كلمات مفتاحية: التجريب؛ التّعبد اللغوي؛ المحرم الجنسي؛ التناص.</p>
--	--

-المؤلف المرسل: أحلام الواج¹

ahlemlouadj1993@gmail.com

تجليات التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

مقدمة:

ظهرت الرواية التجريبية في القرن العشرين على يد عدد من الروائيين الغربيين، وقد كان السبق فيها للأعمال الروائية الغربية من بلدان مختلفة، ثم تأسست على إثرها الأعمال الروائية العربية لاحقا، وعمل هؤلاء الروائيون على إيجاد ووضع تقنيات جديدة لإنتاج رواية حديثة مغايرة للرواية التقليدية، فخرجوا عن المألوف، وتجاوزوا المحذور، وأبدعوا في أعمالهم الروائية، وأسهموا في جعل الفارئ يعيد إنتاج النصوص الروائية من خلال منحها دلالات متعددة.

حاولت الرواية الجزائرية المعاصرة البحث عن تقنيات وآليات متنوعة لمسيرة التغييرات التي يشهدها الواقع باستمرار، فهي تُعبّر عن المجتمع الجزائري الذي يحمل تناقضات فكرية، واجتماعية وإيديولوجية، وحتى تتمكن من مواكبة تلك التحولات والتعبير عنها بصورة تكاد تكون مطابقة للواقع المعيش كان لزاما عليها أن تتهل من الأنواع الأدبية المختلفة.

تندرج رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" ضمن الروايات الجزائرية المعاصرة التي قامت بنقد أحوال المجتمع الجزائري من زوايا متعددة، ودعت إلى ضرورة الخروج عن مختلف أساليب التهميش والخضوع للآخر، وقد استعان "سعيد خطيبي" في هذه الرواية بالعديد من التقنيات والآليات التجريبية التي مكنته من إخراج عمله الروائي بحلّة فنية وجمالية جديدة تتميز بها عن غيرها من الأنواع الروائية السابقة، حيث وظّف التجريب وأسس على مستوى الشكل والمضمون.

ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية: كيف أسهمت الرواية التجريبية في النهوض بالإبداع الروائي الجزائري المعاصر؟ وبتفّرع عنها مجموعة من الأسئلة: ماهي آليات التجريب التي وظّفها "سعيد خطيبي" في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"؟ ماهي الخصوصيات الفنية التي تضمّنتها رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"؟ إلى أي مدى وُفق "سعيد خطيبي" في كسر نمطية الرواية التقليدية؟

أحلام الواج.

كما تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أهم التقنيات التجريبية التي وظّفها "سعيد خطيبي" في روايته، ومدى تمكّنه من ابتكار تقنيات حديثة تمنح الرواية الجزائرية المعاصرة روحا جديدة، ومدى قدرته على رصد الواقع المعيش ونقله إلى القارئ بطريقة جمالية تجعله يغوص في أعماق الأحداث، ويسعى إلى فهم الدلالات العميقة للنص الروائي، ومنحه دلالات متعدّدة بتعدّد الحسّ التقدي لدى القراء.

أمّا المنهج المعتمد عليه فهو المنهج الوصفي التحليلي باعتبار أنّ عملية تتبع التحوّلات التي طرأت على بنية الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال توظيف مختلف التقنيات التجريبية يتطلّب هذا النوع من المناهج.

-أولا: التجريب مفهومه وآلياته :

1- مفهوم التجريب:

*التجريب لغة:

تعدّدت تعاريف مصطلح التجريب بتعدد الرؤى والأفكار والتجارب، واختلاف الوعي التقدي، فكل باحث قدّم تفسيره لهذا المصطلح انطلاقا من وجهة نظره الخاصة، وقد جاء في لسان العرب: «رجل مُجَرَّبٌ قد يُلي ما عنده، و مُجَرَّبٌ قد عرف الأمور وجربها، والمُجَرَّبُ الذي جَرَّبَ في الأمور وعُرف ما عنده» (ابن منظور، 1997). فعند العودة إلى (مادّة جَرَّب) يتّضح لنا أنّها ترتبط بالشخص الذي جَرَّبَ أمورا جديدة وعابشها وتمكّن من إيجاد الحلول لها. فالنّجريب يقوم بتقديم رؤية جديدة، فهو يتأسّس على معان متعدّدة، وهو ينطلق من الحاجة إلى النّجديد، حيث يختلف من شخص إلى آخر، ويتخذ أشكالا متعدّدة، ذلك أنّه نوع من الكتابة المخالفة للقوانين الأساسية المألوفة.

*التجريب اصطلاحا:

يصعب وضع مفهوم محدّد ودقيق لمصطلح النّجريب، وهذا راجع إلى حدائته عند العرب، وقد تباينت آراء الروائيين حول هذا المصطلح؛ ذلك أنّ كل واحد ينظر إليه حسب تجربته الإبداعية، فهناك من يرى أنّه إبداع، وهناك من يقول إنّه ابتكار، حيث يطلق مصطلح

تجليات التّجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ"سعيد خطيبي"

التّجريب على كل محاولة جديدة في الإبداع، و« هو نقض المسلّمات الجامدة والتّقاليد الثّابتة والأعراف الخائفة وصياغة السؤال وممارسة حرية الإبداع في أضحي حالاتها» (بوشوشة، 2003). فالتّجريب يفسح المجال للكتابة والإبداع فلم يصبح الروائي رهين التّقنيات السردية المتوارثة، فهو « استراتيجية فنية تسعى إلى تقويض النّمط والنّمودج وتطمح إلى أن تجعل الكتابة داخل الجنس مفتوحة دائما تتوسل البحث المتواصل على شكل جديد ورؤية متجددة» (الباردي، 1996). وبما أنّ الرّواية نوع أدبي مفتوح فإنّ لها القدرة على استيعاب العديد من الأنواع الأدبية وتوظّفها في منتهى، حيث أصبحنا نلمس في الرّواية القرآن الكريم، والشّعر، والخطابة، والمسرح، واللّوحات الفنية، وغيرها من الأنواع الفنية الأخرى، فالرواية العربية المعاصرة تغيّرت تبعا لوعي الكُتاب والقراء.

كما « نعي بالتّجريب هنا هو فعل التّغيير الذي يتواصل مع العصر ولحظة الزمن، وذلك من خلال إعادة البنية التّركيبية للأطر التّقليدية التي جمّدت حركة الإبداع والتواصل إلى تجارب القرن الماضي وصولا إلى بداية، ستجعلنا داخل قرن مؤدّج بالتجارب واختراق كل ما هو سائد ومجمّد» (الريموني، 2012). حيث تمّ تجريب العديد من الأساليب والبنى التي لم تكن سائدة من قبل، فالرواية المعاصرة تكشف عن مدى ثقافة كاتبها، فكلمّا كانت الخلفية الفكرية والتّقافية للمبدع واسعة كلمّا كان عمله الإبداعي يتسم بالجِدّة والابتكار، وعليه فإنّ «التّجريب قرين الإبداع لأنّه يتمثّل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التّعبير الفنّي المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل» (فضل، 2005). وعليه فإنّ مصطلح التّجريب يطلق على كل محاولة جديدة في الإبداع، حيث يقوم على كسر قيود النّمودج التّقليدي، لتتحقّق عملية الخلق والإبداع، ويسعى إلى ابتكار تقنيات وأساليب جديدة، تُعطي الرّواية المعاصرة روحا جديدة تمنحها صفة التّجدد والاستمرار، فهو استراتيجية فنية تجعل الرّواية أكثر مرونة وحيوية.

كما أنّ «التّجريب الروائي هو وعي حدائثي بالكتابة، وهو في أبعد مغامراته يقف ضد التّكريس، وضد قواعد الكتابة الجاهزة» (التازي، 2010). فالهدف من التّجريب الروائي يكمن في الخروج عن نمطية البنية السردية التّقليدية التي أصبحت لا تقي بخصوصيات النوع الرّوائي

أحلام الواج.

الجديد، وحتى يتمكّن الروائي من التعبير عن الواقع المعيش بكل صدق كان لزاما عليه أن يدخل في ثنايا نصّه العديد من التّقنيات الحدائثة التي تُعبّر عن تجربته بكل صدق وموضوعية.

ثانيا: تقنيات التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل":

حاول "سعيد خطيبي" في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" أن يكتشف تقنيات جديدة تنثري الرواية الجزائرية المعاصرة، وذلك من خلال اعتماده على التجريب، الذي منح الرواية الجزائرية المعاصرة خصوصيات فنية وجمالية مستحدثة، ومن بين التقنيات التجريبية التي استعان بها "سعيد خطيبي" نجد: التناص بمختلف أنواعه، والتعدّد اللغوي، وتوظيف الأجناس الأدبية المتعدّدة، واستحضار الأحداث التاريخية.

- التعدّد اللغوي:

إنّ تقنية التعدّد اللغوي ظاهرة حديثة في الرواية المعاصرة، حيث أصبحت لغة الرواية تتعدّد بتعدّد الشخصيات، كما أنّ التعدّد اللغوي يخلق حوارا وهو جوهر الإبداع الروائي، ويُعدّ "ميخائيل باختين" رائد الحوارية، وعليه فإنّ التعدّد اللغوي هو « خطاب الآخرين داخل لغة الآخرين، وهو يفيد في تفسير التعبير عن نوايا الكاتب. وهذا الخطاب يقدّم التفرد في أن يكون ثنائي الصوت. إنّه يخدم، بتأن، متكلمين ويعبر عن نيتين مختلفتين: نية مباشرة - هي نية الشخصية التي تتكلم، ونية مكسرة - وهي نية الكاتب. مثل هذا الخطاب يشتمل على صوتين، وعلى معنيين، وعلى تعبيرين. فضلا عن ذلك فإنّ الصوتين مترابطان حواريا وكأنتهما كانا يتعارفان(مثلا يتعارف ردان في حوار، ويتشيدان داخل تلك المعرفة المتبادلة، وكأنتهما يتحادثان سوية» (باختين، 1987). فهو يمنح الرواية سمة الحوارية، ومن هنا فإنّ الرواية المعاصرة تحرّرت من سلطة النموذج التقليدي القائم على أحادية اللّغة، والمنظور، والأسلوب، حيث تدرج هذه الخاصية ضمن التجريب ذلك أنّها منحت النصّ سمات جديدة خرجت عن حدود خصوصيات البنية السردية التقليدية.

تجليات التّجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

مزج "سعيد خطيبي" في روايته بين العديد من اللّغات، حيث نجد فيها الفصحى، والعامية، واللّغة الأجنبية وهذه تقنية حديثة لم تألفها الرواية الكلاسيكية، فبعد أن كانت اللّغة العربية الفصحى لغة الإبداع أصبح الروائي يوظّف مختلف اللّغات لفئات وطبقات مختلفة، وبالتالي أصبحت اللّغة العربية الفصحى تُستعمل في الخطابات الرّسمية، والتّعليمية، ومن بين المقاطع التي وظّف فيها الروائي اللّهجة العامية نجد قوله: «**راهم يقولوا أنّ الحالة ماتعجّش يالحاج!**» (خطيبي، 2016). وقد جاء هذا القول في صدد الحديث الذي دار بين "جوزيف" وصاحب المقهى، هذا الأخير الذي كان يرغب في العودة إلى بلده خوفا من الواقع السياسي والاقتصادي الذي ستشهده البلاد بعد إجراء الانتخابات، وعليه فإنّ فامتزاج اللّغة العربية الفصحى مع العامية أصبحت ظاهرة جديدة يتمّ الاعتماد عليها في بناء العمل الروائي هذا ما يجعله يحمل خصوصية فنية وجمالية مميزة، تجعل القارئ يُعايش الأحداث ويغوص في أعماقها «**الدنيا دارة. هكذا كنت أردّد في أحاديثي معه**» (خطيبي، 2016). فبعد أن تمّ تأميم مختلف ممتلكات الأجانب تزامنا والانتخابات البرلمانية تمّ تجاهل تأميم ممتلكات "جوزيف" رغم أنّه عاش معهم أربعين عاما لذلك قال هذا المثل لأنّه سيأتي اليوم الذي ينتصر فيه عليهم، «**ربي يسهل على كل واحد**» (خطيبي، 2016). حيث تمّ ذكر المقاطع باللّهجة العامية من أجل نقل الأحداث وتصويرها للقارئ وجعله يغوص في أعماق النّص، فكل شخصية في هذه الرواية لها صوتها الخاص الذي تعبّر به عن أحداث النّص، ومن المقاطع الأخرى التي وردت باللّهجة العامية نجد قوله: «**واش يقولوا علينا الناس؟ تساعل بنرْفزة. ما فيها حتى عيب. المرأة حابة تخدم على شرها. راح يتمم كلمات لم أفهمها، معبرا عن عدم رضاه، وأضاف أنت تحب تجيب العيب وكلام الجيران**» (خطيبي، 2016). فعندما اتّفق "جوزيف" مع "زوبنة" من أجل خدمة أشغال البيت مقابل راتب شهري، رفض "سليمان" هذه الفكرة خشية ردّة فعل الجيران، حيث تمّ توظيف اللّهجة العامية للتعبير عن الواقع المعيش، ورصد أحوال المجتمع الجزائري، وهذه الخاصية مستحدثة في الرواية الجزائرية المعاصرة.

كما تمّ الاعتماد على اللّهجة العامية وتوظيفها بطريقة فنية وجمالية، هذا ما يجعل القراء يبحثون عن أسباب توظيف اللّهجة العامية، وبالتالي يسهمون في إعادة بناء النّصوص ومنحها دلالات متعدّدة، فالروائي النّاجح هو الذي يُحسن استعمال اللّغة، ومن المقاطع

أحلام الواج.

الأخرى التي تضمّنت اللهجة العامية نجد: «والله ما نزيد نحط رجلي في ذيك البلد!» (خطيبي، 2016). فبعد أن تعرّض "جوزيف" وسليمان" إلى سرقة بيتهما قرّر سليمان مغادرة مدينته التي تعرّض فيها إلى الخيانة، وقد عبّر عن مدى استيائه بالعامية حتّى يجعل القارئ يغمص في أعماق هذا النص، وقد صوّرت بعض المقاطع الواقع المعيش فعندما تحدّث "جوزيف" عن السّفَر في الحافلة نقل المشهد بصورته الحقيقية «اسمع بالعقل .. بالاك! بالشوية!.. رد بالك المرأة راهي كبيرة! ..يدي! .. زيد لهيه!.. ما تطبعش..!» (خطيبي، 2016). فجوزيف رصد أحوال المسافرين في الحافلة وتصرفاتهم هذا ما يجعل القارئ يُعاش الأحداث، وجاء في موضع آخر «كيف حالك سي جوزيف؟ هذي غيبة. كيفاش راه الحاج سليمان؟ وش راهم الإخوة في المدينة؟ وإمام مسجدكم وش أخباره؟» (خطيبي، 2016). فالحوار الذي دار بين "جوزيف" و"الشيخ المنور" كان بالعامية والملاحظ في هذه المقاطع أنّ اللهجة العامية تمّ توظيفها في المقاطع الحوارية التي تتحاور فيها الشخصيات لتعبّر عن آرائها الخاصة، حيث كل واحدة منها تُمثّل فئة اجتماعية معيّنة.

«ما تقلّش روحك.. نهار ولا نهارين ويرجع الحال كما كان..» (خطيبي، 2016). وبعد مظاهرات 15 أكتوبر عاش "جوزيف" و"سليمان" حالة من الخوف والاضطراب، وساند سليمان صديقه بهذه العبارة حتّى يخفف عنه، ويبعث فيه روح الأمل والتفاؤل، فتوظيف اللهجة العامية في هذه الرواية أضفى عليها مسحة جمالية ومنحها بعدها الواقعيّ التي كانت تصبو إلى تحقيقه.

إلى جانب اللهجة العامية تمّ توظيف اللغة الأجنبية من خلال توظيف بعض الكلمات هذا ما يجعل القارئ يبحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى توظيف تلك الكلمات، وما تحمله من معان قد تبدو في الظاهر أنّها عادية لكنّها تحمل في طياتها أنساقا مُضمرة لا يتمّ الكشف عنها إلاّ من خلال قراءتها قراءة نقدية واعية، ورواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" تضمّنت مجموعة من الكلمات الأجنبية نذكر على سبيل المثال «عمي الحاج، قالت لك أختي علبية إذا عندكم حبة "سيترون"؟» (خطيبي، 2016). فكلّمة "سيترون" كلمة أجنبية ويقصد بها "الليمون" في اللغة العربية، وبالرغم من التّعّدّد اللغوي الذي شهدته هذه الرواية إلاّ أنّ اللغة العربية الفصحى احتلّت مساحة كبيرة في هذا العمل الروائي، وقد أسهمت تلك اللغات في

تجليات التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

إثراء هذه الرواية ومنحها بُعدها الواقعي الذي يُعبّر عن الواقع المعيش، ويُصوّر حالة المجتمع بمختلف فئاته، ويتعدّد رؤاه وتصوّراته.

- التفاعل النصي في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل":

شغل التفاعل النصّي حيزا كبيرا في الأعمال الأدبية، إذ أنّ الكاتب لا يكتب نصّه من عدم وإنما يستند في ذلك إلى خلفيته الفكرية والثقافية، حيث «يعتبر (التناص)، عند (كريستيفا)، أحد مميزات النص الأساسية، والتي تُحيل على نصوص أخرى سابقة عنها، أو معاصرة لها. ويرى (سولير)، (التناص)، في كل نصّ يتموضع في متلقي نصوص كثيرة، بحيث يُعتبر قراءة جديدة/تشديد/ تكتيفا. ويكون التناص، طبقات جيولوجية كتابيّة، تتم عبر استيعاب، غير محدّد لمواد النّص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي، عبارة عن تحويلات لمقاطع، مأخوذة من خطابات أخرى، داخل مُكوّن إيديولوجي شامل» (علوش، 1985).

فأيّ نص أدبي يتفاعل مع غيره من النّصوص الأخرى، وبالتالي يُصبح جزءا مُهماً في بناء نصوص جديدة، هذا ما يدفع بالقارئ إلى العودة إلى النص الأصلي، ويحدّد العلاقة التي تربط بين النصّ الأصلي والنّص الجديد.

إنّ قضية تداخل الأجناس الأدبية ليست حديثة النشأة سواء كان ذلك على المستوى الأدبي أو على المستوى الإبداعي، ذلك أنّ الفن يتطوّر ويتجدّد دائما، وبما أنّ الرواية أكثر الأنواع الأدبية قابلية لامتناسص أنواع أخرى، فإننا نجد الروائي يلجأ إلى النّهل من الأنواع الأدبية المتعدّدة، وهذا ما تجسّد في رواية "سعيد خطيبي" "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، التي اشتملت على الأمثال الشعبيّة، والخطاب الديني، والفكر الصوفي، إضافة إلى توظيف الخرافة والتّاريخ، وحتى الخطاب السياسي، هذا ما جعل روايته تتميز على مستوى اللّغة والأسلوب، فهي تعكس خلفيته الفكرية والثّقافية الواسعة.

يمثّل تداخل النّصوص منهجا نقديا اختلف النقاد في تعاملهم معه، كل حسب توجهه الفكري والنقدي، وجاء هذا التّداخل نتيجة تطوّر الأجناس الأدبية كالشعر الذي طرأت عليه العديد من التّحويلات نذكر من بينها الشعر السياسي، ثم قصيدة الشعر الحر، وقصيدة النثر،

أحلام الواج.

كما تطوّر النثر إلى الخطابة وتحولات هذا الفن نتج عنه المقامة، ونتيجة تفكك المقامة، وتحول بنيتها السردية نشأت الرواية، فظاهرة تداخل الأنواع الأدبية جاءت استجابة لمتطلبات الكتابة الروائية المعاصرة، وفي هذه الرواية تمّ توظيف القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، غير أنّ الروائي لم يذكرها كما وردت في النصوص الأصلية وإنما قام بتحويلها، وهذا ما تجسد في المقطع الآتي: «لا فرق بين مسلم ومسلم إلا بالتقوى» (خطيبي، 2016). حيث نجد أنّ هذا القول مستمد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى"، فعندما علم "جوزيف" بوجود كلاب تقوم بنش القبور كلّف أحد الشباب ببناء حائط يحفظ للميت حرمة، فقام أدهم بإزالة ذلك الحائط وترك لافتة كتب عليها العبارة الأنفة الذكر سالفا، ليبيّن له أنّ الناس سواسية والمعيّر الذي يستند إليه في التفريق بينهم هو التقوى. كما تمّ ذكر العديد من السور القرآنية، والمواقف الدينية، والوعظية، مثل «أرسل أمامها بعضا من صغار السور "قل أعوذ برب الناس.."، "قل هو الله أحد.."، و"إلف قريش.."، و"سورة الأعلى" التي أحفظها عن ظهر قلب، وقليلًا من متن ابن عاشر، وأبياتا من قصائد الحاج عبد القادر الدناوي، وأحكي لها قصص الجنية والغول، وخرافات الحب والموت والانتقام، التي سمعتها من لسان سليمان» (خطيبي، 2016). فحتى يتمكّن "جوزيف" من الوصول إلى "إيزابيل" ارتأى أنّ لوحاته الفنية لا تفي بالغرض، لذلك قرّر تلاوة بعض السور القرآنية التي تعلمها من "سليمان" عسى أن يحقق ذلك مبتغاه، ويلفت انتباهها، ويتقرّب منها، وقد جاء في موضع آخر «ورحت أردد مع المشيعين "يا الله يا رحمان يا رحيم يا الله.. اغفر لنا وله برحمتك يا الله!» (خطيبي، 2016). حيث ردّد "جوزيف" هذا القول أثناء حضوره لجنّازة أحد الشباب، حتى يغفر الله خطاياهم وذنوبهم، وقد تمّ توظيف الدعاء في العديد من المقاطع التي وردت في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" من بينها نجد «اللهم أنصر دولة الإسلام، وأجعل بلدك هذا بلدا مسلما وآمنا، وأعزه برييس يطبق شريعة الإسلام وكتاب الله وسيرة نبيك.. اللهم دمر الكفار تدميرا، وهدم بيوت من لم يتبع هدي محمد.. اللهم عليك باليهود والنصارى أذلهم وأجعلهم للمسلمين عبيدا.. والمصلون يرددون من ورائه بصوت عال: آمين!» (خطيبي، 2016). فهذا القول يندرج ضمن فنّ الخطابة، وساهم في إثراء البناء السردى لهذا النصّ الروائي، غير أنّ الروائي في هذه الحالة لم يوظف الخطابة بهندستها التراثية وإنما وظّفها بطريقة حدائثة تتماشى وطبيعة هذا النوع الأدبي الجديد.

تجليات التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

وقد جاء في موضع آخر «بسم الله الرحمن الرحيم حمد من وهب بنوره القدسي، وأبرز من إشراق الضياء الحسي، وأودع مصباح اللطيفة السرية، في مشكاة القوة النظرية، وجعلها كالكوكب الدري، متوقدة من شجرة مباركة علوية، لا شرقية ولا غربية، ونصلي ونسلم على أشرف قائم بدعوة الهداية...» (خطيبي، 2016). وهذا المقطع جزء من الرسالة التي أرسلها "الحاج المنور" إلى "جوزيف"، والتي عبّر فيها عن مشاكله في العمل ومعاملة زملائه له، واستهل رسالته بالبسملة، ووظف العديد من الآيات القرآنية بطريقة ضمنية، فالحاج المنور مشبع بالثقافة الدينية، وقد ولج "سعيد خطيبي" إلى توظيف النصوص التراثية بغية التعبير عن الواقع المعيش وهذا ما جسد فكرة الحوارية، وبالتالي أصبحت الرواية الجزائرية المعاصرة تتسم بالمرونة، كما تم توظيف أنواع سردية تراثية متعددة، تعبر عن مدى وعي الكاتب بأهمية تفاعل الأجناس الأدبية في الكتابة الروائية للتعبير عن واقع المجتمع الجزائري، وهمومه وقضاياها، كما تم استحضار بعض الشخصيات التراثية التي كانت على صلة وثيقة بالجانب الديني وهذا ما يتعلق الأمر بالأولياء الصالحين الذين كان يُنظر إليهم نظرة التبجيل نظرا لما يحملونه من صفات عظيمة، وقد تم ذكر الولي الصالح "سيدي الجبالي" في الرواية وهذا ما يجسده المقطع الآتي: «يا سيدي الجبالي أطف بنا» (خطيبي، 2016). فحالة القلق التي كان يعيشها "جوزيف" دفعته إلى الاستجداد بالولي الصالح "سيدي الجبالي"، وهذا الولي الصالح أحد أهم الرموز الصوفية في الجزائر، وكان الناس يذهبون إلى ضريحه للتضرع وطلب قضاء الحوائج، وقد جسّد هذا الأمر، المقطع الذي أشرنا إليه أعلاه، كما أنّ الإيمان بالأولياء الصالحين من أهم المظاهر التي سادت في الجزائر، اعتقادا منهم أنّ الولي الصالح يحقق مبتغاهم.

ومن ضمن الأجناس الأدبية التراثية التي تم توظيفها في هذه الرواية نجد الأمثال الشعبية وهي «لون من ألوان الأدب الشعبي، لأنها تنبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبّر عن عقلية العامة، وتدل الأمثال من أجل ذلك على طبيعة حياة الأمة وتصور مجتمعاتها» (مرتاض، 2012). وللمثل حضور كبير في الرواية يعكس الحالة النفسية لصاحبه، وهذا ما تجسد في العديد من المقاطع من بينها نجد: «حين غادرته، ودعني بمثل شعبي يقول: اللي ما هام ما عام ما يعرف قداش نهار في العام» (خطيبي، 2016). فعندما زار "جوزيف" السيد "برنار"

أحلام الواج.

وسأله عن رأيه في المكوث بالمكان المسمى بسيدي ثامر " أجابه بهذا المثل الشعبي الذي يحمل في ثناياه الواقع الاجتماعي، ويجسد الجانب الفكري له، فالمثل الشعبي كلماته محدودة لكنه يحمل دلالات عميقة، كما أنه يشمل مختلف مجالات الحياة، ورغم بساطته إلا أنه يحمل قيمة فنية وجمالية، كما أن التراث الشعبي يعكس معتقدات مجتمعنا، واهتمام الروائيين بمثل هذا الموروث يعكس اعتزازهم بتراثهم، وتمسكهم بثقافتهم وما تحمله من قيم، وقد جاء في موضع آخر «خذ الراي لي ببيك ولا تاخذ الراي لي يضحكك». (خطيبي، 2016) فعندما عاد "جوزيف" إلى سليمان أخبره عن الحديث الذي دار بينه وبين السيد "برنار"، كانت نصيحة "سليمان" له أن يأخذ الأمور بجدية حتى لا يتحمل العواقب الوخيمة، فهذه الرواية تُصوّر الواقع المعيش، فهي أسهمت في رسم صورة تكاد تكون مطابقة للواقع المعيش من خلال تصوير مختلف المواقف والقيم والتصورات التي تسود المجتمع الجزائري.

وجاء في موضع آخر «وأنا أردد في سري المثل الشعبي: "عاش ما كسب مات ما خلى!" (خطيبي، 2016). فعند حضور "جوزيف" للجنائز فقد رغبته في كل شيء ذلك أن الموت يحاصره في كل مكان، وقد كان يطلق هذا المثل على الشخص الذي لا يترك أثرا إيجابيا في المجتمع، وبالتالي لا يسهم في بناء المجتمع ولا يُحدث فيه تغيرات إيجابية.

كما تم استحضار بعض النصوص كما وردت في النص الأصلي، وهذا ما يجسده المقطع الآتي: «أتمرن أحيانا على مواجهة قدرتي بإعادة قراءة مقطع من مخطوط إيزابيل إبيرهاريت، غير المنشور: "فشلنا في الحلم هو اقتراب حتمي من الموت"» (خطيبي، 2016). قد تعددت أنواع التناسخ في هذه الرواية، فمتى ما كانت ثقافة الروائي واسعة، كان عمله الإبداعي ثريا شكلا ومضمونا.

3- خرق المحظور في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" :

بعد أن كانت الرواية التقليدية بعيدة كل البعد عن ذكر بعض الطابوهات في ثنايا نصها، أصبحت الرواية المعاصرة توظف بعض المشاهد الجنسية، و«التابو أو الثالث المحرم - كما يسميه بعضهم - خطوط حمراء ثلاثة ابتعد الأدباء عنها حقبة طويلة ثم اتجهوا بالحوم حولها سعيا لكسرها وتجاوزها ضمن تغيرات عديدة في الأدب كفلها الزمن

تجليات التّجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

والأوضاع المتعاقبة» (ناهي، 2018). فخرق الثالوث المحرم من أهم تقنيات التّجريب الروائي ، وقد تضمّنت هذه الرواية العديد من المقاطع نذكر من بينها: «صارت خضرة راقصة، ترقص النايلي والرقص الشرقي، يطلب منها جنود فرنسا أن تهز بطنها وأن تحرك ردفها كيفما شاءوا، إغراء لهم وإغاضة لزملاء لهم. أمها كانت سعيدة بمنجز ابنتها ، ذات العينين الخضراوين البراققتين، كانت تصفق لها مع المصنفين، وتجمع المال المتساقط على ثديها الصغيرتين، وكانت تسمح لها، من حين لآخر، أن تضاجع بعد الزبائن، من أولئك الذين يدفعون مسبقا جيدا فإرضاء شرط ممارسة الجنس من الدبر فقط، حفاظا على عذريتها» (خطيبي، 2016). فالسبب الذي دفع بخضرة إلى الرقص وممارسة الجنس هو الرغبة في الحصول على المال، والروائي هنا لم يوظف الجنس من أجل الجنس وإنما وظيفه لخدمة السياق العام لعمله الإبداعي، وقد جاء في موضع آخر «كانت شهرة للتّرحال والجنس السادي والمازوشي، والتّحول من دور المسيطر إلى المسيطر عليها، وفيه للفاقة الحشيش ولقنينة الأفتنسين، التي كانت تحول كآبتها إلى فرح خجول، والتي كانت تحملها معها، كما لو أنها غرض من الأغراض الثمينة» (خطيبي، 2016). لقد أصبح الروائي يوظف كل الممنوعات في ثنايا عمله الإبداعي، خارقا المحظور ومتجاوزا المألوف حتى يضيف على عمله مسحة فنية وجمالية، وقد عبر "سعيد خطيبي" في هذه الرواية عن جانب من الجوانب المسكوت عنها في المجتمع.

وجاء في موضع آخر «هو لم يشاهد سوى نهود النانليات المتكورة أفضل من نهود الباريسيات، وأفخاذهن العريضة أكثر من أفخاذ الألمانيات». (خطيبي، 2016) وعليه فإنّ الجرأة في تمثيل المشاهد الجنسية أصبح ملمحا من ملامح التّجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، وبالرغم من أنّ مثل هذه الموضوعات تدرج ضمن المواضيع المسكوت عنها إلا أنّ الروائي المعاصر أخرجها من حدود تلك الدائرة التي كانت تسير في فلكها وأضفى عليها مسحة فنية وجمالية، وبالتالي تمكنت من الخروج عن البنية السردية للكتابة التّقليدية.

وبما أنّ هذه الرواية تحمل طابعا سياسيا عبر "سعيد خطيبي" من خلالها على الثّورة التحريرية الجزائرية، فإنّه قد استحضّر العديد من الشّخصيات التاريخية، العربية والأجنبية من

أحلام الواج.

بينها نجد الكاتبة السويسرية "إيزابيل إبيرهارت" التي كان لها حضورا قويا في هذه الرواية، والشخصية الأخرى هي شخصية الفنان الفرنسي "جوزيف" وتتقاطع حياة الشخصيتين في العديد من المواقف، كما تمّ استحضار العديد من الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر من بينها نجد مظاهرات 5 أكتوبر 1988 والتي ترتب عنها العديد من القتل نتيجة عملية القمع التي شنتها الجيش لقمع تلك المظاهرات وهذا ما يجسده المقطع الآتي: «شارك الشباب بخطب خشنة في الدعوة للتظاهر يوم 5 أكتوبر، وحثهم إلى للخروج إلى الشارع لمواجهة أنصار الحزب الحاكم، طرد الموالين للحكومة من المدينة كلية، وحرقت مقراتهم وتمزيق صورهم، التي كانت معلقة في دار البلدية وفي قاعة السينما الوحيدة» (خطيبي، 2016). فهذه الرواية ترسم صورة عن الواقع الذي عاشته الجزائر، كما تطرق "سعيد خطيبي" إلى مطالب الشعب الجزائري، والوعود التي يأتي بها أصحاب الأحزاب السياسية «الشباب حابين يتزوجوا. يلزمهم خدمة ودار. خاطبه أحدهم بريي نشا الله نوقفوا معاكم. رد عليه الإمام المترشح. سلمني أنا أيضا واحدة من المطويات البيضاء، كتب عليها بالأخضر محاور الحزب الذي ينتمي إليه» (خطيبي، 2016). فأثناء قيام رؤساء الأحزاب السياسية بحملاتهم الانتخابية يطرح الشعب مختلف انشغالاتهم، خاصة فيما يتعلق بالسكن والعمل، كما تمّ توظيف الجانب السياسي بطريقة جمالية ترصد أهم الأحداث التاريخية التي عاشتها الجزائر، وتتبع أهمّ التحولات التي طرأت عليها.

ومن الرموز التي استعان بها "سعيد خطيبي" نجد العدد "أربعون" إذ يقول: «أربعون يوما قضاها نوح في تأمل الطوفان، زدتها أربعون عاما في مصاحبة غرباء ومسح آثار طوفاني بلا فائدة، أربعون يوما تاه فيها أنبياء في الصحراء، وأنا أربعون عاما عشتها بعدهم في عد حبات الرمل التي غطت حماقاتي» (خطيبي، 2016). فالعدد أربعون يُعبّر عن الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وقد اكتسى هذا العدد حالة من القدسية كونه ذُكر في العديد من النصوص الشرعية، في القرآن كريم، والأحاديث النبوية، وكان يُستعمل لغرض المبالغة وأحيانا للتّهويل، وفي هذه الرواية حمل هذا العدد معنى الشك والارتياب، كما يوحي إلى التهميش والضياع، ففي فترة الانتخابات تمّ تأمين مختلف ممتلكات الأجانب ما عدا بيت "جوزيف" تمّ تجاهله، رغم أنه قضى مدة أربعين عاما وسط ذلك المجتمع.

خاتمة:

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أنّ رواية "أربعون عاما انتظار إيزابيل" إحدى أهم التجارب الروائية المعاصرة التي وظفت التجريب بمختلف تقنياته وآلياته هذا ما منحها بعدا فنيا وجماليا يندم في الكتابة السردية التقليدية، فكلٌّ من التعدد اللغوي، والتناص بمختلف أنواعه، وخرق الثالث المحرّم ساهم في جعل الرواية الجزائرية المعاصرة تخرج عن نمطية الكتابة التقليدية، وتمكّنت من التعبير عن الواقع المعيش بطريقة فنية تجعل القارئ يغوص في أعماق تلك الأحداث ويمنحها دلالات متعدّدة وبالتالي يسهم في إعادة إنتاجها.

الاقتراحات:

البحث عن مختلف التقنيات التجريبية ومدى تمكّنها من السير بالرواية العربية عموما والجزائرية خصوصا نحو الأفضل.

وضع بنية سردية للرواية الجزائرية المعاصرة تتفرد بخصوصياتها الفنية عن الرواية الغربية.

البحث عن التقنيات التجريبية ذات الجذور العربية ومدى تأثيرها بالخصوصيات الفنية التي تسير وفقها الرواية الغربية.

- المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور. (1997). لسان العرب. لبنان: دار صادر.
- 2- بن جمعة بوشوشة. (2003). التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي. تونس: المغاربة للنشر.
- 3- سعيد خطيبي. (2016). أربعون عاما في انتظار إيزابيل. لبنان: منشورات الاختلاف.
- 4- صلاح فضل. (2005). لذة التجريب الروائي. القاهرة: أطلس للنشر والتوزيع.

أحلام الواج.

- 5- عبد المالك مرتاض. (2012). العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى. ديوان المطبوعات الجامعية.
- 6- عزيز لطيف ناهي. (2018). الرواية السعودية والتابوهات المحرمة الجنس-الدين-السياسة. دار الكتاب اللبناني:بيروت .معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. (1985). س ,علوش
- 7-فراس الريموني. (2012). التجريب في المسرح. الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع.
- 8-محمد الباردي. (1996). في نظرية الرواية. تونس: سراس للنشر .
- 9-محمد عز الدين التازي. (ديسمبر، 2010). التجريب الروائي وتشكيل خطاب روائي عربي جديد. الإبداع الروائي العربي، القاهرة إلى أين؟
- 10-ميخائيل باختين. (1987). الخطاب الروائي. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.